

الحسناء

الجلد الاول

الجزء الثامن

بيروت في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٠

جورج اليوت

ماري القاسم

عزّزت مقام النساء عند الرجال وأرتهن كيف تستطيع المرأة مجاراة الرجل في الكتابة والتأليف. شأن البارونة دي ستال والمركيزة دي سفيليه. فعاشرها كبار العلماء ونخبة الفلاسفة والحكماء راجعاً الناس عندما اطلعوا على كتاباتها وعدّوها من افضل الكتابات. لأن ما انحفت به العالم من نبات افكارها نظماً ونثراً وما اجدت به في رواياتها وكتبها وصفاً وتعبيراً وما تعمده من المواضيع المفيدة ترجمةً وتأليفاً او تخيلاً وتصنيفاً كل ذلك قد برهن على مبادئ شريفة فيها ومعارف وافرة في الاداب والفنون وفي الاخلاق والاجتماع وفي الفلسفة والعمران. ودلّ على استعداد طبيعي وافقته الاحوال فأثر للانسانية خيراً جزيلاً تذكره لها بالامتنان. زينت اداب اللغة الانكليزية ونالت في تاريخها مقاماً رفيعاً فاحترمتها اشهر الكليات في انكلترا واميريكيا ومنها الكلية السودرية فحسبن انشاءها من الدروس المهمة واوجبن درسه كانشاء اعظم الكتاب. وقد اشتهر امرها بغير اسمها ففرّها الناس باسم جورج اليوت

وقل من عام بانها ماري إفانس

ولدت في الثاني والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨١٩ في مزرعة
اريري من مقاطعة واروكشير وكان روبرت إفانس ويلسي الاصل حميد
السجيا كريم النفس مارس التجارة في قوته ثم احترف الزراعة فاصاب
منها حظا وافرا جعله ذا مكانة ونفوذ وانهل مقاماً سامياً اهله له نشاطه وثباته
ومكنه منهجده وامانه واستقامة مبادئه فظل يعامل اشراف البلاد
بالاحترام والاكرام وشركاءه بالمحبة والاخلاص وفعلته باللطف والشهامة.
وكانت امها فاضلة جليلة طيبة الصفات حسنة الاخلاق تعرف واجباتها
وتقوم بها

فاستفادت ماري من رفعة مقام ابائها افادات جملة مكنتها من درس
احوال البلاد واستطلاع شؤون الامة فبحثت بحثاً دقيقاً في عادات الاشراف
سادات تلك البلاد والنظار وكلاء املاكهم والفعلة المستخدمين فيها ودرست
اخلاقهم درسا وافيا فعلت معهم ومشتبهاتهم وادركت مبلغ اتعابهم فتوسعت
في الاطلاع والاختبار فتأملت المستقبل باهر ساعدها عليه العيش مع عائلة
تقية في بيت خلا من القمار والسكر من الغي والكسل من المشد والحمة
والموضة . في قرية بسيطة لا تكاليف فيها ولا بالات ولا تيارات . بين الحقول
الجميلة والحدائق الغناء

تعلمت مبادئ العلوم الاولى في مدرسة صغيرة في نونياتون ولما بلغت
الثانية عشرة من العمر ارسلها والدها الى مدرسة في كوفنتري فصارت شأن
كل مدركة حكيمة تدأب في الدرس والمطالعة اجتناء للعلوم والمعارف
للاداب والفضائل والفوائد الثمينة التي لا يتسنى لها اجتناؤها في كل
وقت . فدرست عدا عن دروسها القانونية الانشاء في لغتها الانكليزية واللغتين

الفرنسوية والالمانية وبرعت بذلك، ولكن "سواء الحظ قضى عليها بعدم المكث كفاية في هذا المعهد العلمي، لان والديها اعتراها ذاء، اتلف جسمها واودى بحياتها فاضطرت الى الرجوع الى البيت تندب حظها وتشكو من جور الزمان

بيد ان حزنها لم يصرفها عن الدرس والمطالعة، وتدير منزلها لم يمنحها من الجري في مضمار العلوم والفلسفة بل كانت تفتنم فرص اوقات الفراغ من الاعمال المنزلية وتمكف على البحث والتنقيب وقد اهتمت بتعلم الموسيقى واتقان اللغتين المنوّه بهما انفاً ولم تدع فرصة تذهب سدى

ولما انتقلت مع والدها الى كوفن تري وهي في الحادية والعشرين من عمرها، تعرفت الى كبار رجال العلم فيها وصادقت بعضهم مثل نشارلس براى الكاتب الاجتماعى الشهير واضع كتابي (ترقية العواطف) و (فلسفة الاحتياج) وتشارلس هنل واضع كتاب (بحث في اصل الديانة المسيحية) فكان هذان الالمانيان عامين عظيمين على ازدياد اثارة ذهنها وتوسيع مداركها وتوفير رغبتها في السعي وراء الاداب اللغوية والعلوم

شرعت سنة ١٨٤٤ في ترجمة كتاب (حياة المسيح) تأليف داود استروس وانجزته فيها فجاء كتاباً فصيح العبارة بليغ المعاني عذب بين كتب اداب اللغة الانكليزية المهمة فاقتناه كثيرون ورغبة منهم في احراز جزيل منافعها واكتساب عميم فوائده، ثم ترجمت كتاب (جوهر الدين المسيحى) تأليف العالم الالماني لدويك فارباك، وهذان الكتابان اللذان يتفان على الخط الفاصل بين الفلسفة والدين قاداها الى التعمق في البحث في الفلسفة وبقيت الى السابعة والعشرين مهتمة كل الاهتمام بدرس العلم والدين، غير ان المقالات التي نشرتها بعد ذلك هيأت لها الانتقال الى عالم اللغة

والتوسع فيه

توفي والدها عام ١٨٤٧ فأسفت عليه كثيراً ولشدة حزنها رأى صديقها
براي وزوجته ان السياحة ضرورية لها فسلأها الذهاب معها الى سويسرا
وايطاليا تنزيهاً لافكارها لتلايؤدي بها الحزن الى الضعف والدا. فرافقتها
ومكنت في جنيف ثمانية اشهر ولقد طاب لها البقاء فيها لان على شواطئ
بحيرتها كانت تتجلى ارواح كلفن المصلح وروسو وفولتير الفيلسوفين ومدام
دي ستال العظيمة وببيرون وشر الشاعرين

ولما عادت الى انكلترا اقامت سنة في منزل براي ثم انتظمت في سلك
محرري مجلة وستمنستر اجابة لطلب الدكتور جون تشاسبمن وسكنت مدة
في بيته حيث احاط بها عدد وافر من ثبة العلماء والفلامضة والكتاب
مثل هربرت سبنسر الفيلسوف الكبير وكارليل المؤرخ الشهير ومارتينو
وفرانيس نيومن وجورج لويس وغيرهم من كبار الرجال وكيرات النساء
وكانت صداقتها مع جورج لويس متينة العرى ف عاشت معه مدة في
بيت واحد فرأى منها ما جعله يؤثرها على زوجته فطلق هذه واقرن بها . وهذا
ما تلام عليه جورج إليوت اشد الملام

بعد الزواج ذهبت وزوجها الى المانيا واقاما في برلين حيثما الف
هو كتابه (حياة كيت) وترجمت هي كتاباً للفيلسوف سينوزا في (الاداب)
ثم رجعا وسكنا في لندن

وبدأت في السابعة والثلاثين من عمرها في تصنيف الروايات وتأليفها ولعل
الزواج دفعها اليها فاستجملت كل قواها واستخدمتها في هذا السبل حتى
استطاعت تخاف الناس بروايات جميلة مفيدة ابدعت فيها بدائع مشهورة
مبرهنة على علم وافر باخلاق الناس وعاداتهم واحوالهم قل من اجاد

بإبدائه اجادتها به وذلك بأسلوب رشيق سهل التناول عظيم التأثير جعلها
تبلغ منزلة رفيعة بين الكتبة السالفين وتفوقهم ايضاً بقوة الوصف والتعبير .
ورواياتها عديدة مختلفة المواضيع مثلت بها الناس تشيلاً واضحاً أكيداً كله
عبر . وطريقتها فيها وفي كتبها ومقالاتها من ابداع الطرق واكملها ولغتها
كانت ولا تزال معدودة من افضل ما استعملته يد كاتب انكليزي ولا
تزال مصنفاتها محسوبة من كتب اداب اللغة تدرّسها اشهر الكليات الى اليوم
ولها مع نثرها شعر لطيف واشعارها كثيرة ملذّة ألقت احدي رواياتها
(البدوي الاسباني) كلها منها . انما لم تشتهر بالشعر اشتهارها بالنثر

داومت الكتابة نحو اربعين سنة ولم تقل منها ثلثا عمرها صرفتها كتابة .
سبعة اعشاره عاشت بين الاوراق والاقلام . كل ذلك دون ان تنأف .
ولم تترك الكتابة برة الا عندما توفي زوجها عام ١٨٧٨ وهي في التاسعة
والخمسين . وكأنها كرهت ان تعيش بعده منفردة وحدها افاقترت باحد
الافاضل . لكنها لم تحي معه كثيراً بل توفيت بعد قليل من الزمن وعمرها
واحد وستون سنة . فتمنى لكاتبنا مثل هذا العمر مع الشهرة والاجتهاد

المرأة الفاضلة من يجعلها

على ان المرأة الفاضلة التي يهاها العاقل ويطلبها الوطن بالخدمات
الجزيلة هي ليست فقط ذات الجسد الجميل ذات العين السالبة الالباب
والحد الفائق الورد في النضارة والبهجة والشعر الخالك كالليل . فالمرأة
الفاضلة هي التي ان منحها الله حسناً تشكره لاجله . ولكنها تعلم ان
فيها ايضاً عقلاً يجب تثقيفه لكي يدرك الحقيقة ويترك الباطل وان فيها